قصص القرآن (٧)

قصة طالوت وجالوت	قصة الخصمين
قصة الحرث	قصة نملة سليمان
قصة سليمان والهدهد	قصة أصحاب السبت

تأليف

عبد العزيز سيد هاشم — ياسر علي نور

مصطفى عبد العزيز — محمد محمود القاضي

عاطف عبد الرشيد

تهذيب وتدقيق

محمد بسام حجازي

قصّةُ طالوتَ وجالوتَ

عاشَ بَنُو إسرائيلَ في ذُلٍّ وهَوانٍ، فكانُوا لا يَستطيعُونَ دخولَ الأرضِ المُقدَّسةِ في فِلَسطينَ، فبَعثَ اللهُ سُبحانَه وتَعالَى إلَيهِم نَبيًّا، فقالُوا لَه: نُريدُ مَلِكًا يَحكُمُنا، ويَقودُنا إلَى القِتالِ في سَبيلِ اللهِ حتَّى نَرجِعَ إلَى دِيارِنا وأَبنائِنا.

فقالَ لَهُمُ النَّبيُّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗا﴾ [البقرة: ٢٤٧]، فاعترضَ بَنُو إسرائيلَ، وقالُوا: كيفَ يَكونُ طالوتُ الفقيرُ مَلِكًا علَيْنا؟ فأَخبرَهُم نبيُّهُم بأَنَّ اللهَ سُبحانَه اصْطفَى طالوتَ وفضَّلَه علَيهِم، وآتاهُ مِنَ العِلمِ والحِكمةِ والقُوّةِ في الجِسمِ ما لَمْ يُؤتِ غيرَه، وذلكَ فَضلُ اللهِ يُؤتيهِ مَن يَشاءُ واللهُ واسعٌ عَليمٌ.

وتَولَّى طالوتُ المُلكَ، وحكَمَ بَني إسرائيلَ، وأخذَ يَستعدُّ لِلجهادِ والقِتالِ ضِدَّ عدُوِّهِم جالوتَ، فتَجمَّعَ بَنُو إسرائيلَ حَولَه، وأرادَ طالوتُ أَنْ يَختَبِرَهُم ويَمتحِنَهُم هَلْ يَصبرُونَ علَى القِتالِ وتَحَمُّلِ الشَّدائدِ، أَمْ يَفِرُّونَ أمامَ الأعداءِ؟ فسارَ بِهِم في الصَّحراءِ لِمسافةٍ طَويلةٍ، ثُمَّ أَخبرَهُم أَنَّهُم

سوفَ يَمُرُّونَ علَى نَهرٍ، فمَنْ أرادَ أَنْ يَسيرَ معَه فلا يَشربْ مِن مائِه إلّا أَنْ يَغترِفَ غُرفةً بيَدِه، فلَمّا وَصلُوا إلَى النَّهرِ شَرِبُوا مِنهُ إلّا عددًا قليلًا مِنَ الجُنودِ الصّابرينَ.

ولَمّا عَبرُوا النَّهرَ، رأَوْا جيشَ جالوتَ كَثيرَ العددِ والعُدّةِ فخافُوا، وقالُوا: لا طاقةَ لَنا اليومَ بجالوتَ وجُنودِه، فقالَ المُؤمنونَ الصّابرُون ردًّا علَيهِم: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، ثُمَّ توجَّهُوا إلَى اللهِ سُبحانَه وتَعالَى يَدعُونَه أَنْ يَنصُرَهُم ويُؤيِّدَهُم علَى عدُوِّهِم جالوتَ، وقالُوا: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

وكانَ في جَيشِ طالوتَ شابٌّ صَغيرُ السِّنِّ قويُّ الإيمانِ، هوَ داودُ عليه السلام، فتقدَّمَ داودُ وقتلَ عدوَّهُم جالوتَ، وانتصرَ بَنُو إسرائيلَ علَى أعدائِهِم.

وبعدَ مَوتِ طالوتَ مَلِكِ بَني إسرائيلَ تولَّى داودُ حُكمَ بَني إسرائيلَ، وآتاهُ اللهُ المُلكَ والحِكمةَ فجَعلَه مَلِكًا ونَبيًّا لِبَني إسرائيلَ.

قصّةُ الخَصمَينِ

ذاتَ يَومٍ كانَ نَبيُّ اللهِ داودُ عليه السلام يَجلسُ في مِحرابِه يَعبُدُ اللهَ سُبحانَه، وفَجأةً رأَى داودُ رَجلَينِ أمامَه فخافَ مِنهُما، فطَمْأَناهُ وأَخبراهُ بِأَنَّهُما خَصمانِ يُريدانِ أَنْ يَحكُمَ بَينَهُما.

واشتكَى أحدُهُما بأَنَّ أَخاه أخذَ نَعجتَه لِيَضُمَّها إِلَى نِعاجِه، وقالَ: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣]. ولَمّا سَمِعَ داودُ ذلكَ حكمَ بِبُطلانِ هَذا الفِعلِ، فقالَ: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾.

وفجأةً اختفَى الرَّجُلانِ، فعَلمَ داودُ أَنَّهما ملَكانِ جاءا لِيَنصحاهُ بأَنْ يَستَمِعَ إِلَى الخَصمَينِ قَبلَ أَنْ يَحكُمَ بَينَهُما وأَلّا يَكتفيَ بِسماعِ أحدِهِما، فاستغفرَ داودُ ربَّه، وخرَّ ساجِدًا للهِ ربِّ العالَمينَ، ثُمَّ أمرَ اللهُ سُبحانَه داودَ أَنْ يَحكُمَ بَينَ النّاسِ بِالعدلِ ولا يَظلِمَ أَحدًا، فقالَ تَعالَى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ

خَلِيفَةَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾.

قصّةُ الحَرثِ

كانَ نَبيُّ اللهِ داودُ يَحكُمُ بَينَ النّاسِ في خُصوماتِهِم ومُشكلاتِهِم، وقَدْ رَزقَه اللهُ سُبحانَه ذُرِّيّةً صالِحةً، وأَنعمَ علَيهِ بِولَدٍ صالِحٍ هُوَ سُليمانُ، وذاتَ يَومٍ كانَ رجلٌ يَرعَى أَغنامَه فدَخلَتِ الأغنامُ في أرضٍ مَزروعةٍ، وأكلَتْ ما فيها مِن زُروعٍ وأَفسدَتْه، فذَهبَ صاحبُ الأرضِ يَشتكِي صاحِبَ الأغنامِ إلَى داودَ عليه السلام، فحَكمَ داودُ بأَنْ يَأخُذَ صاحبُ الأرضِ الأغنامَ في مُقابِلِ إفسادِها للحَرثِ والزَّرعِ.

وعَلمَ سُليمانُ بذَلكَ، فأَشارَ بِحَلٍّ آخرَ في تِلكَ القَضيّةِ، وهوَ أَنْ يَأخُذَ صاحبُ الأرضِ الأغنامَ فيَنتفِعَ بِها حتَّى تَرجِعَ لَه أَرضُه كَما كانَتْ، وأَنْ يَأخُذَ صاحبُ الغَنمِ الأرضَ

فيُصلِحَها ويَزرعَها حتَّى تَعودَ كَما كانَتْ؛ فيُسلِّمُها لِخَصمِه ويَأخُذُ أَغنامَه.

ولَمّا عَلمَ داودُ بِهَذا الحُكمِ أُعجِبَ بِه وقَضَى بِه بينَ الرَّجلَينِ. وأَشارَ اللهُ سُبحانَه إلَى تلكَ القِصّةِ في القُرآنِ الكَريمِ، فقالَ تَعالَى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩-٨٧].

قصّةُ نَملةِ سُليمانَ

وَرِثَ سُليمانُ عليه السلام المُلكَ عَن أَبيهِ داودَ، وعلَّمَه اللهُ لُغةَ الطَّيرِ، وأَعطاهُ مِن كلِّ النِّعمِ، فسَخَّرَ لَه جُنودًا مِنَ الجِنِّ والإنسِ، قالَ تَعالَى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ

ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٦-١٧].

وفي يومٍ مِنَ الأَيّامِ خرجَ سُليمانُ بِجُيوشِه مِنَ الجِنِّ والإنسِ والطّيورِ، وجعلَ علَى كلِّ جَيشٍ مِن هَذِه الجُيوشِ الثّلاثةِ مَن يُنظِّمُونَ الصُّفوفَ، وسارَتْ هَذِه الجُموعُ الكثيرةُ حتَّى اقتربَتْ مِن وادٍ فيهِ مَساكنُ للنَّملِ، فلَمّا رأَتْ نَملةٌ مَوكِبَ سُليمانَ قَدِ اقترَبَ، نادَتِ النَّملَ قائلةً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. سمعَ سُليمانُ حديثَ النَّملةِ وفَهِمَه، ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

❊ ❊ ❊

قِصّةُ سُليمانَ والهُدهُدِ

كانَ الهُدهُدُ واحِدًا مِن جُنودِ سُليمانَ عليه السلام، وفي يَومٍ مِنَ الأَيّامِ تَفقَّدَ سُليمانُ جُنودَه مِنَ الطَّيرِ فلَمْ يَجِدِ الهُدهُدَ، فتَوَعَّدَه بِالعذابِ الشَّديدِ لِغيابِه دُونَ إِذنٍ، وأَعلنَ أنَّه لَنْ يُنقِذَ الهُدهُدَ مِنَ العَذابِ أَوِ الذَّبحِ إلّا أَنْ يَأتيَ بِحُجّةٍ قويّةٍ تُوضِحُ سببَ غِيابِه، فقالَ سُليمانُ: ﴿مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ۝٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٢٠-٢١].

وعادَ الهُدهُدُ بَعدَ مدّةٍ قَصيرةٍ، وأَخبرَتْه الطُّيورُ بِما قالَه سُليمانُ، فأَسرعَ إِلَيهِ، وقالَ لَه: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ۝٢٢ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۝٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾. وواصلَ الهُدهُدُ كلامَه، لِيُعلِنَ تَعجُّبَه مِن صَنيعِ أُولَئِكَ النّاسِ، فقالَ:

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.

ولَمّا قَصَّ الهُدهُدُ علَى سُليمانَ عليه السلام ما رآهُ في سَبَأٍ إحدَى مَمالِكِ اليَمَنِ القَديمةِ، لَمْ يَتعجَّلْ سُليمانُ عليه السلام الردَّ علَى ما قالَه الهُدهُدُ، لَكِنّهُ تَمهَّلَ وقالَ: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾؟ وتَدبَّرَ سُليمانُ فيما سَمِعَه، فقرَّرَ أَنْ يُرسلَ الهُدهُدَ برِسالةٍ فقالَ لَه: ﴿اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾؟

فأخذَ الهُدهُدُ الرِّسالةَ، وطارَ بِها إلَى أَرضِ سَبَأٍ، وواصلَ طَيَرانَه حتَّى قَصْرِ المَلِكةِ بِلْقِيسَ، فأَلقَى الرِّسالةَ علَى كُرْسِيِّها، ثُمَّ انتظَرَ لِيُراقبَ ما يَحدُثُ، وفتحَتِ المَلِكةُ الرِّسالةَ وقرأَتْ ما فيها، ثُمَّ أَحضرَتْ مُستَشارِيها ووُزَراءَها وقالَتْ لَهُم: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ ثُمَّ قالَتْ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا

حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ﴾. فتَشاورُوا فيما بَينَهُم، وقالُوا: ﴿نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ﴾؟

وكانَتْ مَلِكةُ سَبَأٍ امرأةً عاقلةً حَكيمةً، فهَداها تَفكيرُها إلَى أَنْ تَختَبِرَ سُليمانَ، فقالَتْ لِقومِها: ﴿إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۖ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٣٤ وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾؟

إنَّها حِيلةٌ خرجَتْ مِن عَقلٍ ذكيٍّ خَبيرٍ بأَحوالِ المُلوكِ والحُكّامِ، بَصيرٍ بِحقيقةِ أَمرِهِم، وإنَّما أرادَتْ بتِلكَ الحِيلةِ أَنْ تَعلَمَ إنْ كانَ سُليمانُ مِن هَؤُلاءِ المُلوكِ، أَمْ هُوَ مِنَ المُهتدينَ الدّاعينَ إلَى وَحدانيّةِ اللهِ تَعالَى. فإنْ كانَ نَبيًّا، فسَوفَ يَرفُضُ المالَ.

وجاءَ رُسُلُ المَلِكةِ إلَى سُليمانَ، يَحمِلُونَ معَهُمُ الهَدايا العظيمةَ والجَواهرَ الثَّمينةَ، فلَمّا رآهُم سُليمانُ، عَلمَ أنَّهُم يُغرُونَه بالمالِ، فغَضِبَ غَضبًا شَديدًا لِأنَّهُم ظَنُّوا فيه هَذا الظّنَّ السّيِّئَ، وقالَ: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ﴾، ثُمَّ هدَّدَ أميرَهُم قائلًا:

﴿ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُمۡ بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾.

وعادَتِ الرُّسلُ إلَى المَلِكةِ بِلقِيسَ، وأَبلغُوها رِسالةَ سُليمانَ، ونَقلُوا لَها ما رأَوْهُ مِن عِظَمِ مُلكِ سُليمانَ، فعَلمُوا أَنَّه نَبيٌّ حقًّا، وأَنَّه صاحبُ دَعوةٍ لا يُساوَمُ علَيها، ولا يَرجُو بِها بَديلًا، فاستقرَّ رَأيُهُم علَى مُسالمَتِه، فتوجَّهُوا إلَيهِ مُستسلِمينَ، فلَمّا عَلمَ سُليمانُ بقُدومِهِم قالَ لِمَنْ حَولَه مِنَ الإنسِ والجِنِّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾؟ فأَسرعَ عِفريتٌ مِنَ الجِنِّ فقالَ: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ﴾. ظنَّ ذلكَ العِفريتُ أَنَّ سُرعتَه لا تُسبَقُ، وأَنَّ قُوَّتَه لا تُقهَرُ. فقالَ رجلٌ مِن أهلِ العِلمِ والتَّقوَى: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ﴾ أَيْ قبلَ أَنْ تَفتحَ عَينَيكَ بعدَ أَنْ تُغمِضَهُما؛ ثُمَّ دَعا اللهَ تَعالَى، فاستجابَ اللهُ لَه، فأَحضرَ العَرشَ في لَمحِ البَصرِ؛ فلَمّا وجدَ سُليمانُ العرشَ أمامَه قالَ: ﴿هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٞ﴾.

ثُمَّ أمرَ سُليمانُ جُنودَه بأَنْ يُغيِّرُوا بعضَ مَعالِمِ العَرشِ ليَختبِرَ مَلِكةَ سَبَأٍ، فقالَ لَهُم: ﴿نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ﴾؟ كَما أصدرَ أوامرَه بأَنْ يُبنَى قَصرٌ فَخمٌ مِنَ الزُّجاجِ تَجري المِياهُ مِن تَحتِه. فلَمّا جاءتْ بِلقيسُ ودخلَتْ علَى سُليمانَ ورأَتِ العَرشَ عِندَه، قيلَ لَها: ﴿أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِ﴾؟ فنظرَتْ إلَيهِ، فقالَتْ: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾! وقَدِ استبعدَتْ أَنْ يَكونَ هَذا الّذي تَراهُ هوَ عرشَها الّذي تَركَتْه في أرضِ اليَمنِ. ثُمَّ أمرَ سُليمانُ أَنْ يُدخِلُوها ذلكَ القَصرَ، فقيلَ لَها: ﴿ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَ﴾، فدخلَتْه، فظنَّتْ أَنَّ أمامَها بُقعةً مَملوءةً بالماءِ، فرفعَتْ طَرَفَ ثَوبِها حتَّى لا يَبتلَّ، فأَخبرُوها بأَنَّ الماءَ لَنْ يَصِلَ إلَيهِ، وبأَنَّ القصرَ إنَّما هوَ مِنْ زُجاجٍ تَجرِي المِياهُ مِن تَحتِه.

وهُنا أدركَتْ أَنَّ هَذا الأمرَ لَيسَ مِن صُنعِ البَشرِ، وأَنَّ هُناكَ قوّةً أُخرَى هيَ الّتي ساعدَتْ سُليمانَ علَى فِعلِ ذلكَ، وأَنَّ سُليمانَ نَبيٌّ مُرسَلٌ، فقالَتْ: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

وهَكذا يتَّضحُ لَنا مِن قصّةِ الهُدهُدِ معَ سُليمانَ أَنَّ العُبوديّةَ لا تكونُ إلّا للهِ رَبِّ العالَمينَ، ربِّ العرشِ العَظيمِ، وأَنَّ العبدَ إذا أَنعمَ اللهُ عليهِ بنِعمةٍ يَجبُ علَيهِ أَنْ يُؤدِّيَ شُكرَها كَما فعلَ سُليمانُ عليه السلام، وأَنَّ الإنسانَ إذا ضَلَّتْ بِه أَهواؤُه ثُمَّ تبيَّنَ لَه الحقُّ بعدَ ذلكَ فعلَيهِ أَنْ يَهجُرَ الباطلَ إلَى الحقِّ دُونَ عِنادٍ أَوْ مُكابَرةٍ كَما فعلَتْ مَلِكةُ سَبَأٍ، وأَنَّ الدّاعيَ إلَى اللهِ أبعدُ النّاسِ عَن ملذّاتِ الدُّنيا وشَهواتِ النَّفسِ.

قِصّةُ أصحابِ السَّبتِ

كانَ اليهودُ يُعظِّمونَ يومَ السَّبتِ، ويَجعلُونَه عِيدًا لَهُم، ويَنقطعُونَ فيهِ إلَى عبادةِ اللهِ سُبحانَه، ويَتركُونَ أعمالَهُم وكلَّ ما يَشغلُهُم، وأَرادَ اللهُ سُبحانَه أَنْ يَختبِرَ إحدَى القرَى اليهوديّةِ الواقعةِ علَى البَحرِ، والّتي يَعملُ أهلُها في صَيدِ الأسماكِ، فكانَ أهلُ هَذِه القريةِ لا يَصطادُونَ السَّمكَ في يومِ السَّبتِ لِأنَّ ذلكَ مُحرَّمٌ علَيهِم، بَينَما يَصطادُونَه في سائرِ الأُسبوعِ.

وبَينَما هُم كذلكَ شاهدُوا أَنَّ الأسماكَ تَكثُرُ وتَقتربُ مِنَ

الشّاطئِ بأعدادٍ كَبيرةٍ وَفيرةٍ في يَومِ السَّبتِ، فقَدْ ألهمَها اللهُ ذلكَ، فإذا انتهَى يومُ السَّبتِ رجعَتِ الأسماكُ إلَى قاعِ البَحرِ، فلا يَستطيعُونَ صَيدَها إلّا بمَشقّةٍ وصُعوبةٍ.

ولَمّا تكرَّرَ ذلكَ، ووجدُوا أَنَّ السمكَ يَكثُرُ يومَ السَّبتِ ويَختَفي باقيَ أيّامِ الأُسبوعِ احتالُوا علَى الصَّيدِ في يَومِ السَّبتِ، فوَضعُوا المَصائدَ وحفرُوا القنَواتِ الّتي تَجتذِبُ الأسماكَ، بحيثُ تدخُلُ فيها، فإذا حاولَتِ الرُّجوعَ إلَى البَحرِ لَمْ تَستطِعْ، فيَأتي اليَهودُ بعدَ انتِهاءِ يومِ السَّبتِ فيَأخذُونَ تلكَ الأسماكَ.

وهَكذا احتالَ كثيرٌ مِنَ اليَهودِ علَى أمرِ اللهِ سُبحانَه، وحاولَ بعضُهُم أَنْ يَنصحَ هَؤلاءِ المُعتدينَ الظّالِمينَ ويَدعُوَهُم إلَى التَّوبةِ والرُّجوعِ عَمّا هُم فيهِ، لَكِنَّهُم لَمْ يَستجيبُوا لِنُصحٍ، ولَمْ يَسمعُوا لِإرشادٍ، وتَمادَوْا في ضَلالِهِم، وصادُوا السَّمكَ في يَومِ السَّبتِ عَلانيةً، ولَمْ يُنفِّذُوا ما في شَريعَتِهِم.

ولَمّا فعلُوا ذلكَ عاقبَهُمُ اللهُ سُبحانَه وتَعالَى أَشدَّ العِقابِ، فحوَّلَهُم إلَى قِرَدةٍ، وأَصابَهُم بِعذابٍ شديدٍ أهلكَهُم وأَبادَهُم،

ونجَّى اللهُ سُبحانَه المُؤمنينَ الّذينَ كانُوا يَنهَونَهُم عَنِ الفسادِ.

يَقولُ تَعالَى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [الأعراف: ١٦٣-١٦٦].

❊❊ ❊❊ ❊❊